12 me Année No. 598

Lundi - 18 - 12 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٩٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣ محرم سنة ١٣٦٤ — الموافق ١٨ ديسمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

الثقـــافة والأخلاق

للدكتور محمـــد مندور

هذه مشكلة ما زالت تلح على عقلى منذ أخذت أفكر لنفسى ، ولقد كنت ولا أزال أحس أن حلها ضرورة من ضرورات الحياة ، لأنها تفسر الكثير من مواقفنا إزاء الناس ، فالحديث فيها ليس مجرد رياضة عقلية نلهو بها ونلهى القارئ — وهذا نوع من الحديث تنفر عنه نفسى بطبيعتها وما أرى فيه نفعاً لأحد — فمهمة الكاتب لا ينبغي أن تكون الإفحام بالجدل ، بل الإقناع بالقلب ، ولن تصل إلى إقناع إلا إذا اكتفيت بأن تعرض تجاربك النفسية داعياً الغير إلى مثلها

أول ما أثار تلك المشكلة فى نفسى هو ما قرأته فى صدر الشباب « لأفلاطون » ، إذ يعرض نظرية « سقراط » فى أسس الأخلاق ؛ ومن المعلوم أن هذا الفيلسوف الجليل كان يرى أن المعرفة هى عماد الخُلُق ، وقد زعم أنك لا تستطيع أن ترتكب الشر إذا أدركت أنه شر ، وأنك لا بد آت الخير إذا تحققته بنظرك . ولقد أبهج خيالى هذا الرأى ، ولكننى كنت أنظر فأرى نفسى وأرى غيرى ندرك الخير والشر ، ثم لا نملك أنفسنا من الاندفاع فى أعقاب الهوى ، فيساورنى الشك . ووقع بين يدى يوماً قول لفيلسوف فرنسى معاصر هو پول جانيه يقول

٢٣ ـ ٣١

فيه : « إن الإنسان بطبيعته يفضل الخير المحسوس على الخير المدرك » . ولما كانت شهوات النفس أقرب إلى الحس منها إلى الإدراك المجرد ، فقد كان من الطبيعي أن تستأثر بالنفس ما دام هدفنا الأخير من الحياة هو التماس السعادة بتحقيق أكبر قسط مستطاع من رغباتنا ، وليس من شك في أننا نحس أن خيرنا في هذا التحقيق . وذلك رأى يبلبل الفكر ، ولكنك لن تعدم السبيل لرده إذا تعمقت الأمور ، فإنه وإن يكن من الصحيح أننا نفضل الخير المحسوس على الخير المدرك ، إلا أننا لن نعجز عن تغليب الخير الأخلاق إذا أنزلناه هو الآخر منزلة الخير المحس . وذلك بألا نكتفي بتحقيقه بالنظر المجرد ، بل نتعمق به إلى مجال الإحساس فندرك بقلوبنا ما فيه من جمال . وجماله تلحظه في صفات ثلاث يورثها النفس وهي : الحرية والقوة والمرح . فأما الحرية ، فأى نشوة يستشعرها الفرد عند ما يحس أنه لم يعد عبداً لشهواته ، وأما القوة ، فهل نحن بحاجة إلى أن نبصر القارئ بعظمة النفس البشرية عند ما تنطلق بقوتها كاملة لا يحدها نفع حقير تحرص عليه ، أو رغبة وضيعة تبغى تحقيقها ؟ وعند ما تحس بنفسك حرة قوية أى مرح سيأخذ بالروح عندئذ ؟ ثم هل هناك ما ينشط ملكات الخلق في الفرد مثلما ينشطها المرح الروحي ؟ وأى سعادة في الحياة تعدل سعادة الخلق ؟

هكذا نستطيع أن نجد حلاً للجزئية التي عرضنا لها ، ولكن المشكلة لا تزال قائمة في عمومها ، ولقد لاحظ الكاتب الفرنسي « ديهامل » أن من الكتاب والفنانين من وهبوا ملكات ساحرة دون أن يمنعهم ذلك من انحلال الأخلاق . ولقد قسا بهم الرجل فشبههم بالماهرات يلهو الناس بأجسامهن ثم لا يمنعهم ذلك من احتقارهن . ولا بد لتفسير هذه الظاهرة من أن نفرق بين ثقافة النفس وملكة الخلق ، فليس من الضروري للأديب ، أو الفنان الخالق ، أن يكون رجلاً مثقفاً ، بل من الناس من يرى أن ثقل الثقافة قد يعوق الخلق ، وباستطاعتك أن تستعرض أسماء الكثيرين من كبار الكتاب أمثال : شكسبير وموليير وروسو وديكنز وبلزاك وفالرى ، ممن لم يتلقوا تعليما جامعياً منظما ، وإنما هم رجال وهبوا القدرة على الخلق ، ثم جدوا فحصلوا بقراءاتهم مواد أولية يعملون فيها ملكاتهم ، وليس هذا هو المقصود بالثقافة ، وإنما الثقافة بأدق معانيها هي تكوين نظام عقلي وغرس روح علمية في النفس ، وهذا النظام وتلك الروح لا ينموان بالتحصيل أو بجمع المواد الأولية ، بل هما راسبان يتخلفان بالنفس بعد أن ننسى ما حصلنا وما جمعنا . وعلى هذا النحو نستطيع أن نحل هذا الجزء الآخر من المشكلة ، فنميل إلى الاعتقاد بأن ثقافة النفس خليقة بأن تسدد الخلق

ولكن كيف تسدد الثقافة الخلق ؟ للجواب على ذلك يجب أن نميز بين المعرفة والثقافة : فالمعرفة التي تنحصر في تحصيل المعلومات لا نظن أن لها تأثيراً ما على الأخلاق ، وإلا فأى أثر تريد أن يكون لعلمك بقانون الجاذبية أو بأن نابليون قد انتصر في موقعة أوسترلتز أو ما شابه ذلك على سلوكك الخلق . وعلى العكس من ذلك الثقافة بالمعنى الذي حددناه ، فإذا وصلت بفضلها إلى نظام عقلي وروح علمية ، نمت بنفسك قدرة على تمييز الحقيقة ، ثم محبتها ، وعندئذ ستحس بالحرية الروحية ، وقوة النفس ، ومرح العقل ، التي ركزنا فيها جمال الخير . ولى على هذا شاهد في أستاذ تلقيت عنه العلم ، وهو رجل دؤوب على القراءة ، وإطالة التفكير فيما يقرأ ، حتى لأحسبه لطول ما قرأ وفكر قد وصل إلى ما وصفت من نظام عقلي وروح علمية ، وأكبر ظنى أن هذا النظام وتلك الروح قد أصبحا اليوم أساس سماحته الأخلاقية ، فهو من قلائل الناس الذين يحرصون على أن يعطوا كل ذي حق حقه ، وهو من قلائل الناس الذين يسلمون لكل فرد بما ينبغي أن يكون له من كبرياء ، دون أن يلقى هذا الكبرياء على نفوسهم أى شبح من ظلال . أى جمال تحس في نفسه عند ما تلوح لك خالية من عتمة الحسد ؟ وقديماً قال المفكرون : « إن قليلاً من العلم يبعد بنا عن الله ولكن كثيره يعود بنا إليه »

ونترك العلاقة بين الثقافة والأخلاق في حياة الفرد لنواجهها في حياة الأمم ، وهنا تبدو لنا ظاهرة كبيرة لا بد من تفسيرها ، وهي ما نلاحظه في التاريخ من أن جميع الأمم قد انتهى بها الأمر عند ما اتسعت ثقافتها النظرية إلى الانحلال فالفناء ، وهذا

السلم العالمية حلم الأبد

للأستاذ توحيد السلحدار بك

جاء فى (العدد ٥٩٥) من «الرسالة» مقال ظريف للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى عنوانه «السلم العالمية حلم قريب الأمد».

وليس هذا من المستغرب: فإن الآراء تختلف، وكثيراً ما أيد الناس أحبها إليهم، أو أقربها إلى لون ثقافتهم، أو أصلحها لسياستهم. وقد نشط القائلون باتجاه الإنسانية نحو السلم العالمية أو بقربها بعد الحرب الكبرى السابقة، ومنهم مثلاً: ديفز[١]، وكُرْنيجو[٢]، وويلز[٣] الذى يصف بكتابه المشهور «سيرَ الإنسانية العظيم نحو وحدة عالمية». وهذا هو مذهب الدكتور. وموضوعه كثير الأبواب والأصول، متشعب الأطراف والحواشى؛ وإيفاء بيانه وأدلته يملأ سِفراً فزائداً، ولا طائل وراء الإطالة فيه

يقول الدكتور فى فاتحة احتجاجه: «لا شك أن أحداً من الدول المشتركة فى هذه الحرب القائمة لم يكن يرغب فى إثارتها» لكنه يقول فى منتصف مقاله: «تشيع العقيدة في نفس بعضها (الدول) أنها أقوى من غيرها بأساً وأسمى عقلاً وأرفع منزلة وأوسع علماً. ولهذا وقعت الحرب الحالية لانقسام العالم إلى دول عظمى وامبراطوريات كبيرة تتنازع على السيادة والسلطان»

عجباً! لم ترغب دولة فى هذه الحرب، وقد نشبت، إذ اعتقد بعض الدول أنه أقوى من غيره، فنازعه السيادة، ومَن أراد السيادة أراد الحرب. أفلا يبدو أن فى هذا الكلام تناقضاً ينتفى به معنى الجملة الأولى منه؟ وفى الجمل التالية إشارة واضحة إلى ألمانيا، إذ المعروف أنها ابتدأت بالاعتداء على غيرها وأرادت أموراً حققتها بالقوة وهى عالمة بأن إرادات أخَر تعارضها. وقد علّمها كِلَزْوِتْز[١] أن غرض المحارب هو إخضاع إرادة

(١) دافيد ديفز (Daveid Davies)، فى كتابه المسمى «مشكلة القرن العشرين» (Le Problème du XXs Siècle).

(٢) مريانو . ه . كرنيجو (Mariano H. Cornéjo) وزير الأرجنتين وعضو مجلس جمعية الأمم سابقا، فى كتابيه: «توازن القارات» و«الكفاح للسلام».

(L. Equilibre des Continents. 1932 et La Lutte pour La Paix. 1934), chez Félix Alcan.

(٣) هربرت جورج ويلز (Herbert George Wells) فى كتابه المسمى «خلاصة التاريخ العام».

(Esquisse de l' Histoire universelle).

(١) شارل ده كلزوتز (Charles de Clausewitz) القائد الكاتب الحربى البروسى والكلمة فى كتابه عن الحرب، وهو معروف معتبر

ما نجده عند اليونان والرومان والعرب على السواء، فما السر فى ذلك؟ يخيل إلىّ أننا نجد الجواب فى أمرين: أولها: أن الأمم لا تحيا بالثقافة النظرية فحسب، وإنما تحيا أيضاً بتقاليدها. وثانيهما: أن للثقافة النظرية نوعين من النشاط: نشاط هدم ونشاط بناء. فعند ما يسبق التفكير الفردى التقاليد ويأخذ فى تناولها بالبحث ومناقشة الأسس، لا بد من أن يقوضها، لما هو معروف من أن كثيراً من التقاليد لا تقوم على أسس نظرية قوية بل تستند فى الغالب إلى مواضعات اجتماعية خلفتها عصور موغلة فى الظلام. وإذا كان العقل قادراً على الهدم فهو أقل قدرة على البناء، وبخاصة بناء التقاليد، وتلك لا يكفى فى تدعيمها النظر المجرد بل لا بد من أن تطرد بها الحياة حتى تنزل من الناس منزلة العادات الآلية، وهذا أمر يحتاج إلى زمن طويل. وهكذا نفسر انحلال الأمم: عقل يهدم ثم لا يستطيع لساعته أن يقيم بناء على الأنقاض وإذا كان العقل يقوض من دعائم الأمم، فإن ذلك لا ينبغى أن يصرفنا عن تثقيفه، فهو ليس منبع الشر وإنما منبعه أنه لم يثقف عند كافة أفراد الأمم المنحلة، بل عند نفر قليل منها هم الذين قوضوا التقاليد. والتقاليد فى الحق ليست من ضرورات الحياة الاجتماعية إلا بحكم أنها تحل عند غير المثقفين محل النظام العقلى والروح العلمية اللذين أشرنا إليهما، وعند ما تستطيع أمة من الأمم أن تدعى أن كل فرد من أفرادها يملك ذلك النظام وتلك الروح فلن يرهبها عندئذ أن تضيع تقاليدها

وهكذا نستطيع أن نخلص إلى أن الثقافة الحقيقية دعامة قوية من دعائم الأخلاق فى حياة الأفراد وحياة الأمم على السواء، وإنما تأتى الكوارث عند ما نتخبط فى فهم معنى الثقافة ومدى انتشارها بين الأفراد الذين يكونون أمة واحدة

الثقافة ضوء ولا بد للضوء من أن يبدد الظلمات.

محمد مندور
المحامى

العدو لإرادته هو . ولـِكليمَنصُو[1] قوله : « سواء كانت الحرب استراحة من ملهاة السلم ، أو كان السلم استراحة من مأساة الحرب ، يبقى مقرراً أننا نقبل معاناة محنها الدامية ، حتى إننا نَنشدها ، ويسرنا فوق ذلك أن نفخر بها » . ولا حاجة إلى مزيد بعد أن جاء المحتج بدليل ونقيضه فى آن معاً

ثم يقول الدكتور : « إن أصحاب العروش وذوى التيجان وأقطاب الدول والزعماء المحركين للشعوب ، يتنصلون من تبعة الحرب ، ويتبرأون من إعلانها ، فلا شك أن هذا دليل يحمل فى طياته النزعة القوية إلى السلام »

والصواب الذى يستقيم ههنا مع حقائق الواقع فى الإنسانية إنما هو أنهم « يتبرأون » ستراً لطمعهم وأغراضهم ، و « يتنصلون » دفعاً للتبعة إن هم قُهروا ، وتبريراً لجشعهم وإذلالهم عدوَّهم إن هم قَهروا ، وتضليلاً عن سَوقهم الأممَ إلى المجازر وعن سُبل سياستهم ؛ ولم يكونوا يوماً لينزعوا إلى « السـلام » حين يخالف مصالحهم الحيوية وهم قادرون على الحرب ، أو يحول دون مطامعهم الحقيقية ، شخصية كانت أو قومية . فليس يصح فى الأذهان أن ما تقدم دفعه من الكلام « يبشر بتحقيق هـذا الحلم » ، كما يظن الدكتور وإن قال : « ستقع الحرب فى الجيل المقبل ... وقد تقع بعد جيل آخر » ، ليس غير

ثم رأى الدكتور فى نظرته إلى أسباب الحرب « أن ذكر طبائع الفرد وخصائصه ... بصدد حرب بين دولة وأخرى » حجة نفسية لا تستقيم ، لأن « طبائع الجماعة تختلف عن طبائع الفرد كما هو معروف لكل من درس علم الاجتماع »

لكن عندنا دكتور آخر كتب مرة أن الآراء التى سمعها « من أساتذة السربون فى علم الاجتماع وعلم النفس » هُراء . وما التذكير بهذا التقرير إلا لتنبيه من قد يحب أن يمعن النظر فى العلمين لينكرهما أو يعتبرهما، ويرى هل يتحقق أنهما عند ذكر أسباب الحرب ، لا يسمحان بالجمع « بين الدوافع النفسية فى الفرد وبين العلاقات الدولية وتنافر مصلحة الجماعات » . فإن الذى يجهلهما ، أو يقرأ كلاماً فيهما ويفوته فهمه كل الفهم ، قد يظن أن للأفراد ، خصوصاً فى الأمم الحية المتعلمة ، عاطفة وطنية ، وحساسية قومية ، وآراء مشتركة بينهم ، وشعوراً بالمصلحة العامة ، ملاحَظاً فى كلامهم واستعدادهم للدفاع عنها ، وأن الرأى العام وإن كان دون الرأى الفردى أو أكثر منه تعرضاً للخطأ ، يؤثر تأثيراً قوياً فى الحكام والزعماء ، لأن البيئة تؤثر فى الأفراد كما تتأثر منهم ، وأن الأنانية مَرَدُّها الأخير فى التحليل النفسى غريزتا حفظ الذات وحفظ الجنس ، وإذن فهى الأساس العميق فى الفرد وفى الجماعة ، سواء ظهرت أو سترتها التربية والآداب . زد أن الإنسان منذ ظهر على هذه الأرض قد جعل فخره فى توسيع معاركه وزيادة أخطارها ، وهو يرفع عقيرته بالسـلم ، بل يخيل إليه أنه يريد أن يعيش فيه ، ولكنه لا يريده بشدة كافية لحفظه ، والتزاحم الطبيعى الشامل يحتم تضاد القوى ، ولو خفف الإنسان بعض أساليبه . أما الأحلام الكمالية ، فإنما قربها فى الكلام وشبه المنام

يقول الدكتور : « الدليل على نقض تلك الحجة النفسية نفور الجند فى هـذه الحرب الحاضرة » وهم يحاربون ، لأنهم « جماعات وكتل بشرية تترك فى الميادين » .

يريد ، على ما يبدو ، أن الجندى النافر يسيطر عليه روح الجماعة فى هذه الكتل فينساق معها إلى المحاربة . وهذه حجة لا بد أن تكون حقيقة علمية دقيقة ، لا يدركها إلا كل من درس علم الاجتماع . لكن الذى لم يدرس قد يظن أن روح الجماعة ، وإن كان دون روح الفرد ، يكون أحياناً أنبل من أرواح أفرادها ، كروح الجمعية الوطنية فى الثورة الفرنسية الكبرى ، إذ أعلنت الجمعية حقوق الإنسان ، مثلاً ، ونزل النبلاء فيها عن ألقابهم وميزاتهم . وقد يعجب القارئ لروح أولئك الجنود المتكتلين ، وهو ناتج من أرواحهم النافرة من الحرب ونافر بالضرورة من هذه الحرب ، كيف يدفعهم إليها وهم كتل مسلحة متجمعة فى الميدان وفى المعسكرات ، فى وسعها العصيان بروح الكتلة المسيطر

هذا ، والأمم مجاميع أفراد ، والفرد يؤثر فى البيئة ويتأثر منها ، كما ذكر آنفاً ، والحياة ميدان قتال . فالقبائل ليس فيها نظام الحكومات والجندية ، وإن كان الاحتكام عنـدها إلى شيوخها، وعادتها الغزو ، يجمع له الأفراد مختارين للسلب والسبى، وطلب المرعى والماء ؛ وشيمة هؤلاء الأفراد النازلة وأخذ الثأرات المنيمة . والذين فتحوا الولايات المتحدة الأمريكية من محيط إلى محيط ، تقاتلوا فيما بينهم وكل منهم يحمى أرضه ويوسعها ،

(١) جورج كليمنصو (Georgea Clemenceau) ، الطبيب ، الكاتب ، الصحافي ، السياسي ، الوزير الفرنسي المشهور ؛ والجملة بالصفحة ٤٧٣ فى الجزء الثانى من كتابه الفلسفى « فى مساء الفكر » . (Au Soir de la Pensée) .

وقاتلوا الهنود والحيوان أفراداً ثم جماعات قبل أن ينتظموا ولايات منفصلة فمتحدة . وما القول فى المرتزقة قديماً والمتطوعين حديثاً من أمريكيين وبريطانيين وسواهم ، كما تطوع كتشنر لفرنسا فى حرب سنة ١٨٧٠ ؟ وأرض الأهل حيث يفتح الفرد عينيه لنور الحياة بين قلوب تتحنن عليه أرض تحببه إياها وتسمو به فى كل أمر حتى يضحى بنفسه وبذوى قرباه فى سبيل وطنه إرضاء لمثل مثالى فى فؤاده لا يقبل البحث . والأمثلة وافرة : رجال المقاومة والعصابات الأهلية فى فرنسا وبولونيا وغيرهما ، والذين يفرون من الأسر ، ويركبون الأهوال فى سبيل العودة إلى صفوفهم مختارين ، والذى يُقطع نصفه فى الحرب فيخرج من المستشفى مُلحًّا فى طلب طائرته ليعود بنصفه الباقى إلى القتال ، والحال النفسية البادية على أوجه الجنود من شتى الأقطار وهم آتون غادون أمام أعين الناس ، وهى حال لا تدل على تأفف أو استياء ، بل تدل على الارتياح ، واحتشاد الأهالى فى الثورات والحروب الأهلية — وهى فى الإنسانية أكثر من الحروب الدولية — لمحاربة السلطات القائمة والجيش بما تصل إليه أيديهم من الآلات

لكن هناك « أبلغ دليل فى هدم كيان » القول « بحب الكفاح وتغلب الغريزة والشهوة والأنانية »

ذلك الدليل الأبلغ فى نظر الدكتور ، هو « أن الأفراد يعيشون فى داخل الدولة الواحدة ... وتسود فيهم بطبيعة الحال غرائز الكفاح والأثرة والمغالبة والنزوع إلى السيطرة والسلطان (كذا) ، ومع ذلك تعيش هذه الجماعة الواحدة كخلية النحل ... دون أن تقع بينهم معارك دامية ، إلا ما يحدث من الخصام المعروف بين الأفراد الذى يحله القانون ويقتضيه الأمن والنظام . والبوليس والقضاء كفيلان بضبط الأمن وحفظ النظام »

فلا يتوهمن متوهم ، بعد هذا الدليل ، أن تضارب فردين ، أو جماعتين ، أو قريتين ، ولو قتل أناس منهم — لسبب كالغيرة مثلاً أو السطو أو الانتخابات الديمقراطية — يُعد « معركة دامية » ، إنما هى تضارب داخل حدود الدولة ؛ وإن أبطل القضاء والبوليس، أى القوى النائمة الرادعة، الدائمة وجوباً داخل « خليّة النحل » ، فإن أفرادها لا يتقاتلون بدوافع جبلّتهم البشرية لتغيُّرها بالمدنية ، حتى أصبحوا نافرين من الاقتتال ، لا يحاربون إلا مكرهين فى ميادين الحروب الدولية . أما ظلم ذوى القربى وشتى الجرائم التى يدرك أولا يدرك البوليس والقضاء مقترفيها ، فإنها أمور ليست فى شىء مما يدل على أن الفطرة البشرية لم تتغير ذلك التغير ، وإن كان مما يُسلِّم به الدكتور أن الأفراد داخل الدولة « تسود فيهم غرائز الكفاح والأثرة والمغالبة والنزوع إلى السيطرة والسلطان » ؛ إذ أنه يقول : « قد اقتضت الحضارة والمدنية أن توجه هذه النزعة إلى كفاح الحياة والتغلب على عقبات المعيشة وتذليل البيئة المحيطة بالإنسان وتسخيرها لمصلحته ودفع عدوان الأمراض والأوبئة »

فكأن الحكام أوشكوا أن يصبحوا حكماء ، والمحكومين أن يصبحوا قديسين ! ذلك هو ما يؤخذ من تطبيق علمي النفس والاجتماع فيما يبدو من كلام الدكتور . غير أن كايمنصو يقول : « إن الحاكم لا تستطيع أن تشفى الناس من اقتراف القتل فى السلم ... ومنذ أقدم الأزمان إلى أيامنا هذه ، لم نعرف بعدُ غيرَ الدم كفّارة عن الدم ؛ والكلمة الأخيرة لمدنيتنا صاحبها الجلاد على ما يفهمنا جُزيف دُه مِسْتْر[1] »

على أساس الكلام الذى تقدم النظر فيه ، وهو أساس ليس يتحمل ما شُيِّد عليه ؛ يقول الدكتور : « الحرب تقع بين الدول لا بين الأفراد » ؛ « فالمسألة فى السلام هى خضوع الجماعة لحكومة واحدة ونظام واحد ، لأن الحرب تقع بين الدول لا بين الأفراد ؛ فهل يصبح العالم بأسره خاضعاً لحكومة واحدة ، وتتحول النزعة الوطنية إلى دولة واحدة وعالم واحد ونظام واحد ؟ » ؛ ثم يجيب عن السؤال بعرض الأمور التى يراها خطوات فى سبيل « توحيد العالم » ومنع الحرب ، لأن « العلة الأساسية فى الحروب هى انقسام العالم إلى دول تنطوى على نفسها وتحتفظ كل واحدة منها بشخصيتها المستقلة »

وهذه حجة وهمية : فالدولة العالمية حُلم قديم تغنى به فريق من عشاق السيادة الشاملة إرضاء للشهوات ، لا توخيا لخير الإنسانية ؛ وهو كذلك حلم الشيوعية ، وقد يكون حلم الشيوعى عن يقين أو غير يقين . مع ذلك يقول الدكتور إن « الخطوات التى يخطوها العالم فى سبيل التطور والوحدة خطوات سريعة جداً (كذا) هى التى تجعلنا نقول إن السلم (العالمية) قريبة الآن »

فهل يُسلِّم الناس بأن الإنسانية قد أصبحت على باب دولة الفارابى المثالية الشاملة للأرض المكونة بأسرها ، كما صورتها

---

(١) يوسف ده مستر (yoseph de Maistre) فيلسوف فرنسى مشهور . وكلام كليمنصو بالصفحة ٤٤٧ فى الجزء الثانى من كتابه المذكور فى هامش سابق .

شعر البارودي في منفاه

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

كان البارودي في أوّل عهده بالنفي متحفزاً متوثباً، بل كان ثائرا مهددا، يرى أنه لم يقترف ما يستحق النفي من أجله، غير أنه دافع عن دينه وعن وطنه، وليس ذلك ذنبا يستحق أن يحاسب عليه ويغترب، وهو لذلك غير نادم على ما قدّم، وغير خاطئ فيما فعل، وحسبك أن تقرأ هذه الأبيات لترى فيها الثورة النفسية العنيفة:

ومن عجائب ما لاقيت من زمني … أنى منيت بخطب أمره عجب
لم أقترف زلّة تقضى على بما … أصبحت فيه فماذا الويل والحرب
فهل دفاعي عن ديني وعن وطني … ذنب أدان به ظلما وأغترب
فلا يظن بي الحساد مندمة … فإنني صابر في الله محتسب
أثريت مجدا فلم أعبأ بما سلبت … أيدي الحوادث مني فهو مكتسب
إني امرؤ لا يرد الخوف بادرتي … ولا يحيف على أخلاقي الغضب
وما أبالي ونفسي غير خاطئة … إذا تخرص أقوام وإن كذبوا

بل إن شعره الذي قاله في تلك الفترة الأولى ليدل على أنه كان يؤمّل قيام ثورة تعيد إليه مجده، وكان قوي الثقة في أن أنصاره سيرغمون خصومه بقوة السيف على أن يعود البارودي إلى السلطة التي ترضاها العلا، نرى ذلك حين يقول:

فحتّام نسرى في دياجير فتنة … يضيق بها عن صحبة السيف غمده
إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سطت … عليه، فلا يأسف إذا ضاع مجده
ومن ذلّ خوف الموت كانت حياته … أضر عليه من حمام يؤدّه
وأقتل داء رؤية المرء ظالما … يسيء ويتلى في المحافل حمده

نظراته الخيالية وهي اعتبارات فيلسوف لا سياسي ولا مشترع (١)
لكن الدكتور يقول: «نحن نؤيد هذا القول بشواهد في التاريخ، معتمدين على النظر إلى تطور الإنسانية خلال العصور الطويلة»
والبحث في هذه الشواهد وهذا النظر مؤخر إلى عدد آت

محمد توفيق السلوادار

(١) من «تاريخ الأدب العربي» لصاحبه ك. هيار (Clément Houart).

علام يعيش المرء في الدهر خاملا … أيفرح في الدنيا بيوم يعده
وإني امرؤ لا أستكين لصولة … وإن شد ساقي دون مسعاي قيده
ولابد من يوم تلاعب بالقنا … أسود الوغى فيه وتمرح جرده
يمزق أستار النواظر برقه … ويقرع أصداف المسامع رعده
تدبر أحكام الطعان كهوله … وتملك تصريف الأعنة مرده
قلوب الرجال المستبدة أكله … وفيض الدماء المستهلة ورده
أحل صدر النصل فيه سريرة … تمد لأمر لا يحاول رده
فإما حياة مثلما تشتهي العلا … وإما ردى يشفي من الداء وقده

غير أن الانتظار قد طال ولم تصل إليه أنباء تقوى فيه هذا الأمل، فسمعناه يستنجز الوعد، ويحث الصحب قائلا:

فيا سراة الحي ما بال نصرتكم … ضاقت على وأنتم سادة نجب
أضعتموني وكانت لي بكم ثقة … متى خفرتم ذمام المهدي يا عرب

والبيت الثاني يحمل كل معاني الألم وخيبة الأمل.

وقد اختلفت بذلك نظرته إلى السيف، فبعد أن كان يهدد بامتشاق الحسام، وشن الثورة على الخصوم، رأى — وقد خذله ناصروه — أن سيفه ليس له غناء في يده ولا قيمة، ولننصت إلى ما دار بين الشاعر وسيفه من حديث حين قال:

ولا صاحب غير الحسام منوطة … حمائله مني على عاتق صلد
أقول له والجفن يكسو نجاده … دموعا كرفض الجمان من العقد
لقد كنت عوناً لي على الدهر مرة … فمالي أراك اليوم منثلم الحد
فقال: إذا لم تستطع سورة الهوى … وأنت جليد القوم ما أنا بالجلد
وهل أنا إلا شقة من حديدة … ألح عليها القين بالطرق والحد
فما كنت لولا أنني واهن القوى … أعلق في خيط وأحبس في جلد
فدونك غيري فاستعنه على الجوى … ودعني من الشكوى فداء الهوى يعدي

فهذا السيف الذي كان سبب مجده الحربي يراه الآن قطعة من الحديد ضعيفة واهنة القوى، لا تستطيع أن تقدم له يدا، ولا أن تساعده.

لم تنزل بالبارودي نفسه فيلحف في الاعتذار، ويلح في الاسترحام كما فعل سواه، ولعله طلب أن يعود إلى وطنه موفور الكرامة، متبرئاً من تهم ألصقها به حاسدوه، كما يمكن أن نلمح ذلك في قوله:

يا غاضبين علينا ، هل إلى عدة   بالوصل يوم أناغى فيه إقبالى
قد كنت أحسبنى منكم على ثقة   حتى منيت بما لم يجر فى بالى
لم أجن فى الحب ذنباً أستحق به   عتبا ، ولكنها تحريف أقوال
ومن أطاع رواة السوء نفره   عن الصديق سماع القيل والقال

ولكن شعره الثائر وما عرف عنه من حب المجد والسعى إلى العلا ، لم يكونا مما يدفع ولاة الأمر إلى الصفح عنه والمغفرة ، فاستسلم إلى حكم القدر ، وسلم نفسه لله ، ولجت به الرغبة فى زيارة الرسول الكريم ، وأنشأ الشعر فى مدح النبى والثناء عليه ، ولكنه مع ذلك لم يسل يوما مجده ووطنه ، بل أخذ يبث شعره شوقه إلى ملاعب شبابه وصباه ، وما كان له من سلطان وجاه ، فهو لا ينفك ذا كرا الماضى مشتاقا إليه ، يحن إلى ملاعب الروضة وحلوان ، وكان كلما تقدمت به السن ، خلف الشباب وراءه ، فتلفت يبكى هذا العهد السعيد الذى قضاه فى وطنه ممتعاً بالأهل والأصدقاء والأحباب والسلطان ، ويوازن بينه وبين ما صار إليه من ضعف وهوان ، وقد وصف هذه النفسية القلقة المشتاقة حين قال :

أحن إلى أهلى ، وأذكر جيرتى   وأشتاق خلانى وأصبو لمالق
فلا أنا أسلو عن هواى فأنتهى   ولا أنا ألقى من أحب فأشتفى

أو حين تحدث فى لهفة وشوق قاتل إلى النيل قائلا :

فهل نهلة من جدول النيل ترتوى   بها كبد ظمآنة ومشاش

أو حين يذكر الماضى متأسفا على حاضره :

لله أيام بهم سلفت   لو أنها بالوصل تأتنف
إذ لمتى فينانة ويدى   فوق الأكف وقامتى ألف
أجرى على إثر الشباب ولا   يمشى إلى ساحاتى الجنف
إن سرت سار الناس لى تبعاً   وإذا وقفت لحاجة وقفوا
فالآن أصبح طائرى وقعا   بعد السمو وصبوتى أسف

بل لقد انتهى به الأمر إلى أن أصبح يتمنى العودة إلى الوطن ولو عاش فيه فقيرا مملقاً .

أما حزنه على الشباب وبكاؤه عليه وألمه من الشيب وما ناله فيه من الضعف ففى كثير من قصائد منفاه ، وها هو ذا يصور لنا نفسه فى عزبته شيخاً أخلق الشيب جدته ، ولوى شعر حاجبيه على عينيه ، وضعف بصره فصار يرى الشىء كأنه خيال ، وإذا دعى لم يتبين مصدر الصوت ، وإن أراد النهوض تمد به الضعف فلا يستطيع .

كيف لا أندب الشباب وقد   أصبحت كهلا فى محنة واغتراب
أخلق الشيب جدتى وكسانى   خلعة منه رثة الجلباب
ولوى شعر حاجبى على عينى   حتى أظل كالهداب
لا أرى الشىء حين يسنح إلا   كخيال ، كأننى فى ضباب
وإذا ما دعيت حرت كأنى   أسمع الشىء من وراء حجاب
كلما رمت نهضة أقعدتنى   ونية لا تقلها أعصابى

كان البارودى كثير التأمل فى حوادث حياته ، ما مضى منها وما حضر ، وكثيراً ما كان يفكر فيما آل إليه أمره ، فيسلى نفسه حيناً بأن الحظ يلعب دوراً كبيراً فى النجاح ، ولا ذنب له إن جافاه الحظ فلم ينجح ، وحيناً يعود باللائمة على الحياة الدنيا ، فهى لئيمة قلب ، لا تحسن اليوم إلا لتسىء غداً ، وأحياناً يسوق الأمثال والحكم ليجلب إلى نفسه الهدوء والراحة ، فالسيادة لها تكاليفها والمفاخر تقوى هموم قلبه ، وطالب العلا يعرض نفسه للحلو والمر إلى غير ذلك ، مما تجده منثوراً فى قصائد منفاه ، وإذا ذكر ثروته وكيف جرد منها قال :

أثريت مجداً فلم أعبأ بما سلبت   أيدى الحوادث منى فهو مكتسب
لا يخفض البؤس نفساً وهى عالية   ولا يشيد بذكر الخامل النشب

وكان يسبغ على نفسه الرضا والطمأنينة راحة ضميره وإيمانه بأن سيرته ليس فيها ما يزرى أو يغض من قيمته :

راجعت فهرس آثارى فما لمحت   بصيرتى فيه ما يزرى بأعمالى

وأنه لم يبع ضميره بالمال ولم يفرط فيما يعتقد أنه واجب عليه ، مؤمناً بأن التاريخ سينصفه ، وسوف يبين الحق يوماً للناظرين ، قال فى إحدى قصائده :

ولو رمت ما رام امرؤ بخيانة   لصبحنى قسط من المال غامر
ولكن أبت نفسى الكريمة سوأة   تعاب بها والدهر فيه المعاير
وسوف يبين الحق يوماً لناظر   وتنزو بعوراء الحقود السرائر

كان نفى البارودى إلى جزيرة سيلان ومعيشته بين القوم الذين وصفناهم له هذا الأثر الحزين فى كل شعره الذى قاله فى منفاه ، ولم تستطع طبيعة هذه البلاد ـ وقلبه ملىء بالحزن والأسى ـ أن توحى إليه بشعر فرح إلا قصيدة واحدة يصف فيها روضة بكندى ، ويوماً قضاه مع رفقة بتلك الروضة ، وتلمح

فى هذا الوصف أنه وصف حسي لم يشارك القلب فيه الحواس ، بل إن لسانه لم يتحرك بقول هذا الشعر إلا بعد أن سأله رفقاؤه أن يخلِّد ذكرى يومهم فى شعره . وأما وصفه لـكندى فمع قلته تشيع فيه روح الألم والحزن

برغم كل ما قاساه البارودى فى غربته لم يفقد الأمل فى أن يعود يوماً إلى وطنه ، فهذا الأمل وطيد لا يمكن أن يزول :

ولى أمـــل فى الله تحيا به المنى ويشرق وجه الظن والخطب كاشر

وطيد يزل الـكيد منه وتنقضى مجاهدة الأيام وهو مثـابر

وقد حقق الله له هذا الأمل . فنى (١٧ مايو سنة ١٩٠٠) أصدر الخديو عباس حلمى الثانى أمره بالعفو عنه ، فعاد البارودى إلى وطن طالما حن إليه وشرب ثانية من ماء النيل الذى لم يرو بماء غير مائه منذ فارقه حتى عاد إليه .

(حلوان) احمد احمد بدوى

مدرس بحلوان الثانوية للبنين

فرقة التمثيل ومديرها الفنى

للأســـتاذ زكى طليمات

المدير الفنى للفرقة المصرية

يشاء السيد الزحلاوى[1] أن يجعلنى المسئول الأول والأخير عن تصرفات الفرقة ، وهو يعلم علم اليقين من المصادر التى يستقى منها معلوماته ، أن للفرقة لجنة عليا تشرف على توجيهها إشرافاً دقيقاً ، وأخرى تنتخب مسرحياتها ـ ولست عضواً فيها ـ ثم إن للفرقة لجنة ثالثة تتولى توزيع الأدوار على الممثلين ، وأن للفرقة مديراً عاماً له السلطة الواسعة ، وأنه ما من اقتراح أتقدم به يأخذ دور التنفيذ إلا بعد موافقة هذه اللجان . .

فهم إذن تجاهله كل هذا ، إلا لغرض مبيت فى سريرته . فهو والحالة هذه أحد رجلين : إما أنه (مخلب قط) لموتورين من الفرقة ـ وما أكثرهم وأحبهم إلى نفسى ـ فهم لا يزودونه إلا بالمغرض الـكاذب من المعلومات ، وإما أنه يعلم كل هذا ، ثم يتجاهل ليغالط نفسه والقراء . وما أحب له أن يكون هذا أو ذاك

بيد أننى له فى كل مزاعمه ، وسأناقش على الاعتبار الذى اجتلبه وافتعله ولم يبال بحقائق الأشياء ، أى على اعتبار أننى المسئول الأول والأخير

١ — يأخذ علينا أن الفرقة قدمت (شهرزاد) و (يوم القيامة) و (كلنا كده) و (سلك مقطوع) ، فـكان فى زعمه أن « هبطت إلى مستوى الفرق الأهلية التى لا تراعى إلا الربح المادى » ، وكأن الفرقة لم تقدم غير هذه المسرحيات ! أسائله : أين إذن مسرحيات (يوليوس قيصر) لشكسبير و (متلوف) و (مدرسة الأزواج) لموليير و (غادة الـكاميليا) لديماس الابن ، و (الوطن) لساردو ، و (مروحة الليدى وندرمير) ، و (زوج كامل) لأوسكار وايلد ، و (مرتفعات ويذرنج) لأميلى برونتى . ثم أين (قيس ولبنى) للشاعر النابه عزيز بك أباظة ، و (قطر الندى) للمؤلف المصرى الـكبير عباس علام . وكل هـذه المترجمات من النفائس الأدبية فى عالم التمثيل ، والروايتان الأخيرتان من أحسن ما أخرجته الأقلام المصرية ، وقد توليت بنفسى إخراج ست منها ؟

أتساءل لماذا لم يسجل السيد الزحلاوى غير الجانب الذى قد يؤاخذ عليه فى منهج الفرقة ، ولم يذكر الجانب الآخر الذى يشرفها ويقيم الحجة على أنها فى جادة الطريق إلى تأدية رسالتها ؟

ثم ذاك الجانب الذى لا يؤاخذ عليه إلا صاحب العنت والهـوى ، ما خطره ما دامت الفرقة تحرص فى انتخاب مسرحياتها على إقامة توازن دقيق بين الجزيل والماحل ، وبين الدسم والخصب من المسرحيات ، تمشياً مع الجمهور الذى لم يستقم له بعد أمر الهضم القوى لما هو دسم حقاً ، وموفور الغذاء حقاً ؟

ما الخطر فى أن تأخذ الفرقة بالاعتدال فى انتخاب ما تقدمه مراعية أمر التفاوت البين بين طبقات الجمهور من حيث المستوى الثقافى والمزاج ، فتـكون تارة لخاصة الجمهور ، وأخرى لعامته من غير تعال أو إسفاف مشين ؟

كلنا يعلم — إلا المتعنت المتجنى — أن التهذيب بطريق

(١) انظر الرسالة رقم ٥٩٣ ، ثم ٥٩٤ تحت عنوان فرقة التمثيل

المسرح اختياري محض ، إذ الجمهور إنما يغشى المسارح مختاراً لا مجبراً . ولهذا أسائل : هل من الخير للفرقة أن تحظى بإقبال الجمهور مع أخذها بهذه السنة الحصيفة المعتدلة فى انتخاب مسرحياتها ، أم تبوء بالفشل وانصراف الجمهور وهى لا تقدم إلا التحف الأدبية والروائع الفنية ؟

هل يدرى السيد الزحلاوى لماذا أخفقت الفرقة القومية فألغيت وقامت مكانها هذه الفرقة القومية المصرية ؟ هل غاب عن علمه أن إيراد تلك الفرقة اللغاة انكمش إلى قروش وملاليم فى الحفلة الواحدة ؟

وهل فى استطاعته أن يعرض على الجمهور تلك المسرحيات الرفيعة مع ضمان إقبال الجمهور ؟ إذا كان هذا فى وسعه فإننى أنزل له عن مكانى فى الفرقة لأعمل تحت إمرته

٢ — لم نقصر فى إعلاء شأن العربية الفصحى كما يزعم الكاتب ، بدليل أن الفرقة حتمت أن تكون كل المسرحيات المترجمة مكتوبة بالعربية السليمة معنى وإعراباً ، كما أنها لم تتوان عن تقديم مسرحية (قيس ولبنى) وهي مكتوبة بالشعر الرقيق الآسر ، كذلك لم تقض الفرقة بأن تكون المسرحيات المحلية الموضوع مكتوبة باللهجة العامية المبتذلة ، ولكنها قضت بأن تكتب باللهجة التى يتكلم بها شخوص الرواية كما لو كانوا فى الحياة الواقعية حتى لا ينهار جانب المعقول فى أسلوبها

٣ — الذى يأخذه علينا الأستاذ من أننا أوردنا (ضرب الزار وهز البطن والأرداف) — وهما الرقص أو الحركة الإيقاعية فى لغة العلم — لم نورده لذاته ولم نزج به زجاً فى روايتى (شهرزاد) و (يوم القيامة) ، بل أوردناه لأنه عنصر لا تستقيم بدونه المسرحية الغنائية الفكاهية (الأوبريت) ، وهو نوع يقوم على الموضوع اللين المشرق بالفكاهة وبالغناء ، ويقضى كمال إخراجه بأن نجمل من شخوص الرواية ومائليها والمنشدين منها عرضاً منسقاً لمتعة العين والأذن

وإخراجنا هذا النوع يحقق جانباً من رسالة الفرقة ، إذ هى للتمثيل والموسيقى المسرحية كما يشهد بذلك عنوانها (الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى) ، ومع هذا فإننا لا نقدم غير رواية واحدة من هذا النوع فى كل عام

٤ — تشاء خبيئة السيد الزحلاوى أن تتهمنى بالتغرض والعبث فى توزيع الأدوار على الممثلين ، أى أننى أعطى الدور لمن لا يحسن تأديته . وتفنيد هذا الزعم الباطل أنه ما من رواية قدمتها الفرقة وباءت بالفشل ، بل كان نصيب كل رواية النجاح الجدير بها . ومن المعلوم أن نجاح الرواية يتكئ أولاً على حسن تأدية الممثلين أدوارهم . فلو صح ما زعمه السيد الزحلاوى لأغلقت الفرقة أبوابها ، لأنها لا تعيش من إعانة الوزارة وقدرها عشرة آلاف جنيه ، فقد بلغت مصاريف الفرقة فى العام الماضى ثلاثة وعشرين ألفاً من الجنيهات ، وزاد دخلها على مصاريفها بدليل أن الممثلين تناولوا مرتبات خمسة عشر شهراً عن العام الماضى

ثم ماذا يقول الأستاذ المتجنى ، وما عسى أن يقول له القارئ ، إذا علم أن توزيع الأدوار لا يرجع أمره إلىّ وحدى ، بل إلى لجنة أنا واحد منها ، إذ تتضمن سواى مدير عام الفرقة ، وعضو من اللجنة العليا ، وزميلى فى الإخراج !

٥ — شاء أدب الأستاذ الزحلاوى أن يتهمنى بأننى أسأت إلى سمعة مصر فى البلاد العربية . أسائله هل قرأ ما كتبته صحف فلسطين ولبنان وسوريا عن رحلة الفرقة وروايتها فى الصيف الماضى ؟ ما أظن ... ويقينى أنه لو قرأه لتغيرت فى ذهنه معانى ما يقرأ ، لأن العين التى يرانى بها ترى الزهر شوكاً والضياء ظلاماً ، وكان الله فى عونه

وإذا سمح أستاذنا الزيات فإننى أنشر فى (رسالته) نبذاً مما تفضل بكتابته عن الفرقة بعض الأدباء والكتاب فى هذه الأقطار الشقيقة الكريمة

٦ — وأروع مثال أقدمه ليتعرف القراء إلى مقدار فهم الأستاذ الزحلاوى لما يشاهد من مسرحياتى ، ما أورده عن (كلنا كده) فى مقاله ، فالرواية فى فهمه وعلى حد قوله : « تقول عن أبناء الأمة إنهم كلهم ديوث وقواد وعكروت » ! — فليتصور القارئ رواية هذا موضوعها ومفادها ! كيف وافق عليها قلم النشر فى الداخلية ، وكيف تأتى أن النظارة لم يحطموا مقاعدهم ويقذفوا الممثلين بحطامها ، وكيف توالى تمثيلها شهراً ونصف شهر فى حفلات متوالية ! لا مراجعة فهذا فهم الأستاذ ، فى حين أن الرواية تجرى حوادثها وتتعاقب مشاهدها لتلوح فى لطف أننا كلنا كتب علينا الخطأ ، وكأنها تذكرنا بالحديث الشريف « كل امرئ خطاء وخير الخطائين التوابون »

وأرجو أن يكون الأستاذ الزحلاوى من الخطائين التوابين !

زكى طليمات

على هامش النقد

الرباط المقــــدس

كتاب توفيق الحكيم

للأستاذ ســيد قطب

خيل إليّ في وقت من الأوقات أن توفيق الحكيم قد بلغ مداه وارتقى آفاقه ، وأنه منذ الآن سيكرر نفسه ، مع شيء من التحوير والتعديل

خيل إليّ هذا وأنا أقرأ « سليمان الحكيم » فأجد فيه اختلافاً ما في موضوعه وشخصياته عن أهل الكهف ، وشهرزاد ، وبيجماليون ؛ ولكنه يتفق معهما في طريقة تناول الموضوع وفي إدارة الحوار مع تعديل طفيف

ثم كتب « زهرة العمر » ، فلاحت بوادر آفاق جديدة ، ولكن لها شبهاً في خطرات المصباح الأخضر والبرج العاجي . وإن ظهرت في صورة رسائل لا في هيئة مقالات فالفرق في صميم العمل الفني هنا كذلك طفيف .

ولكن هـذا الوهم قد تبدد من نفسي وأنا أقرأ « الرباط المقدس » كتابه الأخير. هنا أفق جديد من آفاق توفيق الحكيم ونغمة جديدة ، وعطر جديد ... إنه عطر النضوج ، ونغمة الاكتمال ، وأفق الأستاذية . في الموضوع والأداء والطريقة ، وسائر ما يقاس به العمل الفني الكبير .

ولقد التمحت من قبل ومضات من هـذا الجديد في أعمال توفيق الحكيم ؛ ولكنها بالقياس إلى « الرباط المقدس » تبدو بواكيرفيها الالتماع والحلاوة ، دون النكهة العميقة والنضوج الأخير .

فالخطرات الذهنية — التي اعتدناها من المؤلف — لا تقف هنا عادية ، تتخايل بالألاقة والالتماع . إنما هي هنا تسرى في مادة حية ، وتخطر في إطار من اللحم والدم يمنحها الحرارة والحياة ... هنا قلب إنساني يضبطه ويدل على حركاته ذهن فنان . وهذه هي اللمحة الجديدة في فن توفيق الحكيم .

لقد كان في « عودة الروح » و « يوميات نائب في الأرياف » شيء من هذا . ولكن النبض الحيوي كان هناك باهتا ساكناً غير ملحوظ في ثنايا التنسيق الفني الدقيق . أما في « الرباط المقدس » فالنبض الحيوي يساوق التنسيق الفني ، ويبدو كلاهما كاللحمة والسدى في النسيج الواحد ، أو كالجسد والروح في الكائن الحي .

وفي الكتاب صفحات من خطرات الفكر، ووثبات الغريزة، وسبحات الروح ، ووسوسة الضمير ، ونزوات اللحم والدم ، وصراع القوى البشرية في النفس الواحدة يقل نظيرها في كل ما سجله الأدب العربي الحديث .

والمهم ليس هو التماع هذه الصفحات في الكتاب . ولكن تناسق العمل الأدبي كله في مبدئه إلى نهايته ، في مستوى متقارب من النبض والحرارة والالتماع والنضوج .

لقد أدركت بعد قراءة الكتاب خطورة الأحكام النهائية على المعاصرين . فلقد كنت أعد بحثاً عن « المدارس الأدبية المعاصرة » وكدت أنتهي إلى حكم قاطع في فن توفيق الحكيم وطبيعته وطريقته . . . فهأنذا أجدني في حاجة إلى تعديلات أستمد حيثياتها من « الرباط المقدس » . وإلا فما كان أدراني أن في طاقة المؤلف بلوغ هذا الأفق الجديد . وإن كل ناقد يحترم نفسه يكون قد أصدر حكما سابقاً على توفيق الحكيم يجب أن يعاود حكمه فيتناوله بالتعديل !

* * *

القصة قصة امرأة تخون ، امرأة منحرفة ، تدعوها نوازع اللحم والدم فتستجيب ، وتغريها بدعة العصر في التحلل من القيود فتفلسف السقوط بالحرية والتجديد ، وتنظر إلى ما تسميه « مغامرة » نظرتها إلى أمر يومي صغير ، لا يجوز أن يحطم عشا ولا أن يحدث ضجة ؛ ثم تسخر ما شاءت لها السخرية من رجعية الرجل ومن أنانيته لأنه يتطلب فراشاً نظيفاً وذرية مضمونة !!!

وقصة رجل مستقيم الفطرة تربى في إنجلترا ، ولكنه لم ينحل ، وعرف كيف يؤدي حقوق الزوجية كاملة . ولكن في حدود الفطرة السليمة . فضاقت المرأة المنحرفة بهذه الحدود .

وتاقت نفسها إلى « المغامرة » اللذيذة ، والاستجابة الممنوعة .

وهي تصف في مذكراتها لحظات هـذه الاستجابة وصفا حسيا عنيفا . تصفها كما وقعت محوطة بالوهج واللهب ، مغلفة باللذة الحيوانية الهائجة ، غارقة في بحران الغيبوبة ... فإذا وقعت هذه المذكرات مصادفة في يد الزوج الواثق المسكين كانت المفاجأة التي تهد القوى وتذهل اللب ، وتمسخ كل لحظة من لحظات الماضي ، فتحيلها غولا لئيما يعذب فريسته بالسخرية اللاذعة قبل أن ينقض عليها ليمزقها شر تمزيق !

والقصة بعد هـذا كله قصة « راهب الفكر » الذي رأى هذه المرأة أول مرة فرفعها إلى مصاف الحوريات في الفراديس ، ونسج حولها هالات من القداسة والسحر ، وأقامها في مصاف الآلهـة والقديسين .. ثم ... ثم إذا هو يطلع على الكارثة مع الزوج المنكوب ، فيفجع في أحلافه فجيعة الزوج في كيانه ، ويحس لها بالحقد والازدراء ، ويخيل إليه أنها انتهت من عالمه ... ولـكن !

أجل . ولـكنها « المرأة » . المرأة الخالدة في ضمير كل « رجل » . وراهب الفـكر هو كذلك رجـل أيضا . هو مزيج من اللحم والدم والفكر والشعور . ولئن كانت هذه الأفعى قد سحرت فيه رجل الفكر والشعور أيام أن كانت — عنده على الأقل — حورية أو قديسة ، فإنها اليوم لتستطيع أن تسحر فيـه رجل اللحم والدم ، بعطرها العابق ونكهتها الأنثوية ، وأن تدعوه لصوت الغريزة الخالدة فيستجيب . ولولا سبب خارج عن إرادته — حسب تعبير القانون — لتم كل شيء في عالم الواقع المحسوس ، بعد أن تم في عالم الضمير المكنون !

يا للمرأة ! بل يا للحياة في صورة المرأة !

وعلى الهامش رجل آخر أوقعته مذكرات الزوجة المفضوحة في شك مفترس في عشه وفراشه هو الآخر ، ولـكنه لا يستطيع الجزم واليقين ، ولا يطيق جحيم الشك المـؤلم فيستريح من قريب ... ينتحر ! ولا يستغرق من القصة إلا القليل ، الذي يكفي للموازنة السريعة بين قسوة اليقين المحتملة على كل حال ، وقسوة الشك التي تجل عن الاحتمال .

* * *

أشهد أن الصفحات التي تناول فيها المؤلف عرض نظريات المرأة ودواعيها ، ووصف نزواتها ومفاتنها ؛ وكشف حيلها ومغرياتها . كالصفحات التي صور فيها كارثة الرجل وعاطفته ، وأوضح منطقه واتجاهه . كالصفحات التي أبرز فيها « راهب الفكر » ونزعاته ، واختلاجاته ونزواته ، كالصفحات التي كشفت روح العصر والعوامل الخفية والظاهرة التي تعمل في كيانه ... كلها صفحات رائعة فيها ذلك النضوج الأخير

ولـكن الصفحات التي عرض فيها صورة « الشك » لم تجيء في مستوى تلك الصفحات . جاءت مختصرة ومجملة ، جاءت في لمسات عريضة لم تتناول الجزئيات الثمينة في لحظات الشك المريرة . وختمت في عجلة ظاهرة

حقيقة إن « التنسيق الفني » سمة توفيق الحـكيم الأصيلة — هو الذي يجبره في هذه القصة — حسب وضعها الحالي — إلى الاختصار في صورة الشك ؛ فـكيان القصة قائم على مواجهة الرجل المستقيم بالمرأة المنحرفة في العصر الحديث وعلى اضطراب رجل الفـكر بين الغريزة والوجدان أمام المرأة الخالدة ، وعلى منطق الغريزة العميقة ومنطق الفـكر المحلق ، وعلى لذة الفناء الأرضي ولذة الخلود السماوي ... الخ فلا مجال فيها لعرض صورة « الشك » إلا في هذا الحيز المحدود

ولـكني أخشى أن يكون تصوير « الشك » في هذا المستوى الرفيع في حاجة إلى طاقة أخرى لم يزاولها حتى اليوم « توفيق الحـكيم » . طاقة كطاقة شكسبير في « عطيل » أو طاقة العقاد في « سارة » وطاقة الأضواء تتداخل في الظلال ، لا طاقة الخطوط الحاسمة التي تفرق بين الظل والنور وإن كنت لا أظنها — بعد اليوم — بعيدة عن توفيق الحـكيم . فتصويره لتأرجح (راهب الفـكر) في اللحظات الأخيرة يمنحه المقدرة على تصوير (الشك) في النفس الإنسانية في هذا المستوى الرفيع

ونحن منتظرون ... !

* * *

ثم لقد استوقفني المؤلف عند هذا الحوار بين راهب الفكر والزوجة المستهترة كانت تسخر من غيرة الرجل على فراشه ، وتعد دفاعه عن هذه الغيرة حماسة منه للرجال :

— « ولماذا لم تتكلم بهذه الحماسة عن خيانة الأزواج ؟

— إني لم أبح للزوج أن يخون زوجته

— وإذا خانها . أليس لها الحق أن تخونه ؟

— لا

— النغمة القديمة التي نسمعها من الرجال . تبيحون لأنفسكم ما تحرمون علينا لأنكم أنتم السادة ونحن الإماء .

— بل لأن الرجل هو الذي يعرق ، والمرأة هي التي تنفق . اكدحي كما يكدح زوجك واعرقي كما يعرق ؛ فإذا تساويتما في التضحيات تساويتما في الحقوق . لا أقول إن الرجل يجب أن يخون . ولكنه إذا خان خان من ماله . ولكن الزوجة تخون من مال زوجها . ثم هنالك شيء آخر . . هو النسل . . فالزوج يخون ولا يدخل على زوجته نسلا مدلساً . أما الزوجة فإذا خانت أدخلت على زوجها نسلا ليس من صلبه . لن تكون هناك مساواة مطلقة بينكن وبين الرجال في هـذا الإثم إلا إذا تطور الزمن تطوراً آخر فرأينا الزوجة تناضل في الحياة وتكتسب بالقدر الذي يربحه الزوج ... ثم يستطاع بواسطة العلم أو بغيره من الوسائل أن يفرز للزوج نسله عن نسل غيره بغير وقوع في شك أو ارتياب ... إلى أن يتم ذلك فلا تتحدثي عن المساواة في الخيانة .

— إذا حدث ذلك فلن تكون هنالك زوجية . ولن يكون لها محل على الإطلاق . .

— ولن يكون للخيانة عندكن لذة ولا طعم . إذ لن يكون الزوج ضحيتها ...

— « يا لك من خبيث ! »

أحسب أن هنالك اعتبارات أخرى غير الاعتبارات الاقتصادية الخاصة بالانفاق والعائلية الخاصة بالنسل ، بل أكبر من العوامل النفسية بين الرجل والمرأة حين يراد منهما بناء أسرة ورعاية أطفال ... فلندع هـذا كله ، ولندع منطق الأخلاق لننظر من ورائه إلى منطق الطبيعة . . .

أحسب أن الطبيعة الخالدة كانت تقصد الإشارة إلى معنى خاص وهي تقدم أنثى الانسان — وحدها دون بقية إناث الحيوان — مختومة مقفلة بذلك القفل الطبيعي الخاص ! وأنها لم تحسب حساب العلم في تطوراته التي يستطيع بها فرز النسل أو لا يستطيع . فقامت هي بوسائلها الخفية الخاصة بضمان العفة في الحدود التي تملكها . وما كان عمل فرسان القرون الوسطى حين كانوا يلبسون زوجاتهم أحزمة ذات قفل في ثنايا اغترابهم للحرب ، إلا محاكاة لعمل الطبيعة وامتدادا له في صورة عنيفة . فمهما كانت نظرتنا نحن اليوم إلى طريقة التنفيذ ، فيجب أن نقدر أصالة الفكرة ، وعمقها في تفكير الطبيعة . وإذا كان عصر من العصور لا يسمح بفكرة القفل المادي ، فإن هذا لا ينفي أن فكرة القفل المعنوي أصيلة في صميم الطبيعة كلها لا في صميم النفس الإنسانية وحدها !

إن الطبيعة لأحكم من كل فلسفة أخلاقية ، ومن كل سفسطة إباحية . وإن كل انحراف عن سننها لهو انزلاق إلى مهاوي الفناء !

سيد قطب

الدستور فى شعر شوقى

بمناسبة إزاحة الستار عن تمثاله

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

— ١ —

كانت الدعوة إلى الدستور قد قويت ودوّت فى أوائل هذا القرن ، وزعيمها مصطفى كامل باشا وكان مصطفى لا يفتأ يدعو إلى الجلاء وإلى الدستور لأنه وسيلة الحكم الصالح ، فقد كتب فى اللواء فى ٥ أكتوبر سنة ١٩٠٠ مقالاً بعنوان « الحكومة والأمة فى مصر » ذكر فيه وعد لورد دوفرين باسم حكومته أن يؤسس فى مصر مجلس نيابى ، وإخلاف الحكومة البريطانية وعدها كإخلافها وعود جلائها

ودعا إلى الدستور فى خطبته فى العيد المئوى لمحمد على يوم ٢١ مايو سنة ١٩٠٢ ، ومما قاله : « أين ذلك الدستور الذى يلجم الحكومة بلجام من حديد ، ويهب الأمة حرية الرأى والفكر وحق المراقبة على أعمال الحكام وسن القوانين والشرائع ومناقشة الوزارة عن الصغائر والكبائر ...

لعمرى إن مايسميه المحتلون وأنصارهم بالدستور لهو الفوضى فى لباس النظام ، والاختلال فى قالب الاحتلال ، وإلا فأين الضمانة التى تطمئن لها القلوب والخواطر ؟ أين مجلس النواب المصرى الذى يقف فى وجه كل طامع ويرد كل ظالم ؟ أين ذلك المجلس الذى وعدت به بريطانيا على لسان اللورد دوفرين ؟ »

وقد كان لخطبته هذه دوى فى مصر ، وأثر فى القيمين بها من الأوروبيين ، وكانت من أعظم دروسه الوطنية ، وعلقت عليها الأهرام بقلم الشاعر الكبير خليل مطران بك ، والبصير ، وجريدة الفارد الكسندرى تعليقاً يشف منه الإعجاب والحماسة

ولشوقى بمصطفى كامل صلات ، فقد كان من كتاب اللواء ، ومن أصدق أصدقاء الزعيم الشاب وأعظمهم إعجاباً به ، وكان مصطفى يبادله الحب والإعجاب ، فقد وصف شعره بأنه الغدير الصافى فى ألفاف الغاب يسقى الأرض ولا يبصره الناظرون ، وخصص لقصائده أسمى مكان فى اللواء ، وفى ذلك يقول شوقى :

قد كنت تهتف فى الورى بقصائدى ... وتحل فوق النيرين مكانى

وكتب مصطفى إلى صديقه محمد بك فريد من أوروبا :

« وإذا قابلت شوقى بك فقبله لى مرتين ، وقل له أن يرسل لى ما طبع من ديوانه مع صورته وأعطه عنوانى »

وشوقى يقرر أنه شارك مصطفى فى البعث والدعوة إلى الاستقلال والحرية بقوله :

أتذكر قبل هذا الجيل جيلاً ... سهرنا عن معلمهم وناما

مهار الحق بغضنا إليهم ... شكيم القيصرية واللجاما

لواؤك كان يسقيهم بجام ... وكان الشعر بين يدى جاما

وقد اشترك معه فى الاحتفال بالعيد المئوى لولاية محمد على بقصيدته الخالدة (محمد على) ورثاه لما مات بقصيدة من عيون المراثى العربية ، ثم ذكره ، وفى آخر ذكرى يقول :

يا أخا النفس فى الصبا ... لذة الروح فى الصغر

وخليلاً ذخرته ... لم يقوم بمدخر

— ٢ —

على أنه قد درس فى مصر طرفاً من القانون فى مدرسة الحقوق قبل أن يتحول إلى قلم الترجمة ، ثم أتم دراسة الحقوق فى فرنسا ، وما من شك فى أنه وقف على آراء علماء الاجتماع والقانون والسياسة فى خير نظم الحكم ؛ وما من شك فى أنه تأثر بميولهم إلى حكم الشورى ، على أنه شاهد هناك صولة الدستور وفضل الشورى وسلطان الشعب ، فطمح إلى ما طمح إليه غيره من المصريين الدارسين فى أوروبا أن يكون لمصر دستور ، وأن يصرف الشعب أمره بنفسه ، وأن ينجاب عن سماء الإسلام قتام الحكم المطلق

ثم إنه مولع بالتاريخ وتمجيد الماضى ، ويعلم أن الشورى نظام الحكم فى الإسلام ، وأن الخلفاء الراشدين تسلموا مقاليد الحكم بالانتخاب ، فهو يجمع هذا إلى مايتجدد أمامه فى الحاضر فى الدول الراقية فلا يرى مندوحة من الميل إلى الشورى ، والدعوة إليها والاستمساك بها

كان ذلك وشوقى فى ريعان شبابه ، فدعا إلى الدستور وهو شاعر الأمير تقيده الوظيفة ، وتحد من جريانه فى تيار الثوران على الحكم المطلق . فلما نشبت الحرب الماضية نفى ، لأن الغاصبين أيقنوا خطورة شعره فى التأليب عليهم والتنفير منهم ، فأميره مبعد عن ملكه ، ومصر كلها رمة بقيود الحماية ، وتركيا فى غير صف انجلترا ، وشوقى شاعر الأمير ، وروحه مصرى وتركى ، وشعره يوقظ الغفلى ، ويشدو به الصبية والكهول

ثم ألقى الله على العالم أمنه وسكينته ، وعاد شوقى إلى مصر يغرد بالمجد ، ويرجّع بالدعوة إلى الدستور فى مناسبات شتى فى عهد الملك فؤاد ، وهو فى ترجيعه حر يصور عواطف الشعب آنا ، ويرشده آنا ، لا تلجمه وظيفة ولا تثنيه رهبة ؛ فقد أفاق الشعب كله واستقاد لزعيمه سعد ، وثار ثورته يشرى حريته ودستوره واستقلاله ، وشوقى مغتبط يحدو للسائرين أو الطائرين إلى مثلهم العليا ؛ ولم يجاره شاعر فى حماسة دعوته ، ولا فى تكرار صيحته ، ولا فى بلاغته وجرأته ، ثم لم يدانه شاعر فى جلال الصور التى صور الدستور بها ، أو فى مهارة الربط بين الفكرة التى يدعو لها والمناسبة التى يهتبلها

ولعل فى هذا البحث بلاغاً لحساده الذين زعموا أنه لا يمثل عصره ، ولم يتحدث بلسان شعبه ، ولم يصور عواطف معاصريه وميولهم ، وإن هم إلا واهمون أو ظالمون ، فإن شعره ثبت مفصل لما اضطرب من أحداث ، وما اشتجر من آراء ونزعات ، وقلما حدث حدث إلا جلجل فيه شوقى بشعره الملتهب ، فعضد الحق ، وسند الشعب ، ورسم الصوى للحيرى

وشعره فى الدستور والشورى وفضلهما وما يتصل بهما كثير منوع الصور ، جاشت به نفسه فنفس عنها ، واستدعته عاطفته فاستجاب لها ، وإنها لعاطفة صادقة لا مجاراة فيها ولا مَيْن ، ولو جارى لأقل فأشار فى معرض أو معرضين ، ولكنه طرق الدستور وحكم الشورى فى أكثر من عشرين موضعاً من ديوانه ، وفى بعضها يخلق المناسبة خلقاً ، ليمجد الدستور ونظمه ، وليس هذا شأن المجارى . وعاطفته مع صدقها حارة عالية الدرجة نبيلة تثير عواطفنا وإعجابنا ، فلا صدى إذن لأقاويل خصومه المتنقصين قدره إلا أنهم نفسوا عليه سلطانه ومكانه وبيانه ، فاتهموه فى موضع الاقتدار ، فكانوا كمنكر النهار ، أو المارى فى حرارة النار

ومن الوفاء له أن نسوق هنا طرفاً من شعره نحيى به ذكرى شاعر العصر ، المساهم فى مجد مصر ، ونحيى به الدستور فى وقت تمتحن فيه دساتير الأمم ، فتجاهد الحكم المطلق

وإن من يقدر الظروف التى تغنى فيها شوقى بالدستور ليجد حرجها ، ويحس أشواكها ، فكيف سلم من معاطبها شوقى ؟ وكيف لبق فأرضى نفسه وصور آمال الشعب ثم لم يجمح به قلمه أو كلمه ؟

الحق أنه كان يروض الألفاظ حتى لا تثير سخطاً ، ويروز المعانى ويصطفيها حتى لا يحس منها معارض بجفوة أو نبوة ، وليس من السهولة أن تحبب إلى معارض ما يكره وأنت لم تشعره بغضاضة الرجعة ، أو لم توقظ فى نفسه نوازع العناد . وهذه درجة علية من اللباقة والكياسة والحذاقة

— ٣ —

هلل شوقى بالدستور العثمانى واحتفى به ، وقصر عليه قصيدة كاملة إثر صدوره عام ١٩٠٨ إذ زف فى بعض أبياتها البشرى إلى الترك وإلى الخاضعين لهم ، ولعله استشف أن الدستور سينتظم مصر وغيرها ، فى رأيه أن الخلافة كانت تعانى الضعف وتقاسى الانحلال فجاء الدستور سياجاً لها وقوة ، وكانت متداعية الأركان فحيطت بالشورى ونادى الشورى

والدستور الذي أصدره السلطان عبد الحميد نعمة على الشعب جليلة كجلال الخليفة ، صافية الحواشى ، إذ لم ترق لها دماء أو تلابسها جرائم ، ومن عجب أن يرغب الناس عن الشورى وقد شرعها الله وأوصى بها نبيه

وحيثما نظرت رأيت سمات الفرح ، فإن الشعب الصادى إلى الدستور والحكم النيابى ينقع اليوم بالشورى صداه ، وكل فرد فى الأمة يشعر بالعزة والعظمة والجاه أنْ صار له صوت فى سياسة الوطن ورأى

بشرى البرية قاصيها ودانيها ... حاط الخلافة بالدستور حاميها
لما رآها بلا ركن تداركها ... بعد الخليفة بالشورى وناديها
أسدى إلينا أمير المؤمنين يداً ... جلت كأجل فى الأملاك مسديها

بيضاء ما شابها للأبرياء دم ... ولا تكدر بالآثام صافيها

وإنما هي شورى الله جاء بها ... كتابه الحق يمليها ويمليها

أما ترى الملك في عرس وفي فرح ... بدولة الرأى والشورى وأهليها

لما استمد لها الأقوام جئت بها ... كالماء عند غليل النفس صاديها

فضل لذاتك في أعناقنا ويد ... عند الرعية من أسنى أياديها

خلافة الله جر الذيل حاضرُها ... بما منحت وهز العطف باديها

طارت قناها سروراً عن مراكزها ... وألقت الغمد إعجاباً مواضيها

— ٤ —

وينتهز الفرصة في إعلان رأيه في مشروع ٢٧ فبراير فيخاطب الملك فؤاداً ناصحاً له أن يوطد ملكه على دعائم من العلم والأدب والعدل والشورى :

فؤاد حليت جيد النيل مأثرة ... حذوت في صوغها آباءك النجبا

ما زلت في السلم تغزو كل معضلة ... بالحلم حتى اقتحمت المعقل الأشبا

إن سرك الملك تبنيه على أسس ... فاستنهض البانيين العلم والأدبا

وارفع له من حبال الحق قاعدة ... ومد من سبب الشورى له طنبا

— ٥ —

ويلتفت في قصيدته (الأزهر) التفاتة بارعة فيقرن إصلاح الأزهر بإصدار الدستور ، أليس بإصلاح الأزهر يستقيم الدين والدنيا ؟ وبالدستور تنهض الأمة وتسلك طرقها صعداً ؟ أليس الأزهر فخار مصر المسلمة والدستور شمار مصر الناهضة ؟

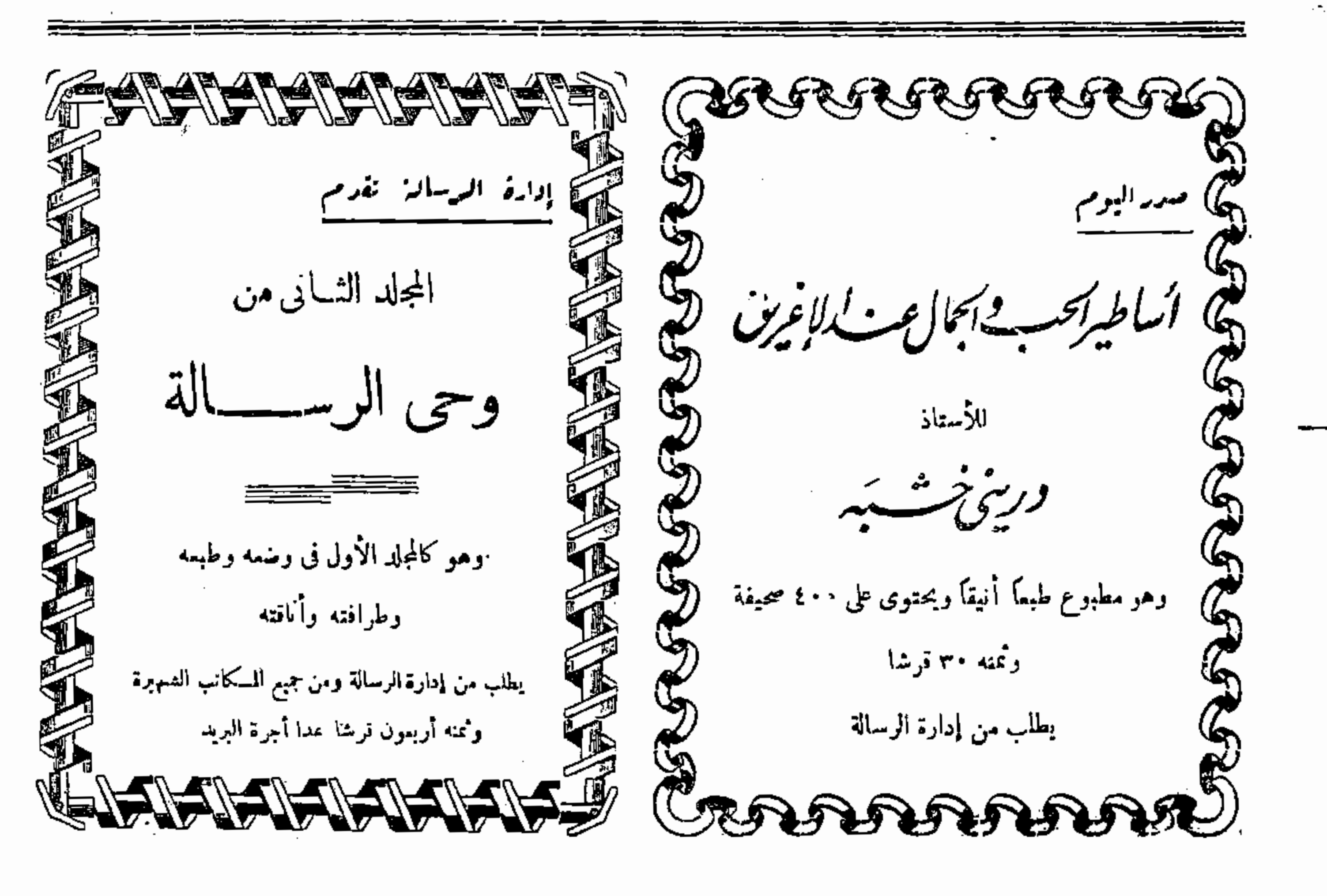
الله أكبر يا ابن إسماعيل لم ... تترك لصناع المآثر مفخرا

بالأمس تنهض مصر في دستورها ... واليوم تنهض للسماك الأزهرا

(البقية في العدد القادم)

احمد محمد الحوفي

المدرس بالسعيدية الثانوية



منها ...

لشاعرة غربية

[جمعتهما المصادفة فأحسا بذلك الانعطاف الروحي الذي يزيل الحواجز ويمحو الفروق . هي شاعرة غربية نبيلة ، وهو شاعر شرقي أصيل ، وأحسا بالهوة العميقة العريضة التي تفصل بينهما فتحدث إليها عن ذلك الحب اليائس وأمله الممض، وأن القدر لا يريد لهما هذه السعادة ، وظنت هي أن كل شيء قد تغير سريعاً ، فكتبت إليه بهذه القصيدة التي ترجمها هو فيما يلي] :

وحيدةٌ ! ويحي ! بلا راحةٍ ... ما بين موجٍ طاغياتٍ قُواهْ
تجري بيَ الفُلْكُ كأرجوحةٍ ... حَيْرَى بأقيانوس هذي الحياه
أبحث عنه وسُدًى ما أرى ... أين حبيبي؟ أين سارت خُطاه؟
لم يَهْدِني نجمٌ إليـه ولم ... يبسِمْ ليَ الحظُّ فألقى سَنـاه
وليس لي من موجةٍ بَرَّةٍ ... تحملني في إثْرِه كيْ أراه
من شاطئ الراحة لم يَدْنُ بي ... إليـه أُفْقٍ لا يُرَى منتهاه !
هناك في الشاطئْ وا فرحتا ... أعزُّ إنسانٍ صـفالي هواه
منتظراً لي شاخصاً باسمـاً ... تُشـيرُ بالآمال لي راحتاه
لـكنَّما هيهات كيف السُّرَى ... وأين من عصف الرياح النجاه؟
قد صار حتماً أن يُرَى زورقٍ ... محطَّماً قد مال بي جانباه
وهل فضاء البحر أو غَوْره ... مهما تناءى وارتمت لجتاه
يكفي مداه أن نُوارَى به ... جميعُ آلامي ؟ أيكفي مداه ؟

نَمَتْ زهرةٌ في غصون الخريـ ... ـف كحُلْمٍ من الماء والخضرة
كزنبقةٍ في زُهَى حلَّةٍ ... ربيعيـةِ الوشْي مخمرَّةٍ
تبثُّ المراعيَ نوراً يشفُّ ... ويجـلو الطهارة في النظرة
كأني بهـا قدحاً مُتْرَعاً ... به مُزِجَ السمُّ بالخمرة
لهـا وهج الحب في قبلة ... على شفةٍ شِـبْهِ مُفترة
ألا إنهـا هي بُقْيا الهوى ... وآخرُ ما فيـه من نضرة
ألا إنهـا هي صهباؤه ... وآخر ما فيـه من قطرة
تميتُ وتُحْيي فيا لَلْحياةِ ... والموتِ إلْفَيْنِ في زهرةِ !

إن أنا قاومتُ هيـاج العبابْ
مصطرعاً والأفقُ داجي السحابْ
ولم تَدَعْ كفي إلى زورقي ... زمامَهُ حُراً وخضتُ الصعاب
فسـوف يُلقيه خفيُّ القضا ... محطَّماً فوق الصخور الصلاب
وإن أقوى ســـاعد عاجزٌ
أن يُمسِك المجداف دون اضطراب
إن عاند الأمواج فهـو الذي ... يحفرُ في اليم حَفيرَ التَّباب
وهو الذي يسعى إلى حتفه ... في هوَّة مَغمُورة في العباب
فلْيُلْقِ بالمجداف من كفه ... وليترك الموجَ طليقَ الرغاب
وليَمْضِ بالزورق ما يشتهي ... إلى القضاء الحتمِ دون ارتياب
وليبتلعه المـوجُ في جوفه ... فلا مفرَّ اليوم مما أصاب
طال كفاحي ويح نفسي فما ... طول كفاحي غير طول العذاب!

أطلَّ الخريف بأعقاب ليل ... دجيِّ الظلام بكيِّ السُّحبْ
وآخر ما في الربى زهرة ... عداها من الصيف وقْدُ اللهب
غدت وحـدها في أديم عفا ... من النَّور والورقات القشب
كحارسة الميْتِ ليست تَرِيم ... مكاناً به وقفتْ تضطرب
تُساقط من حولها أدمعاً ... غصـون تطالعها من كثَب
جرى الغيث ، من ورقات بها ... إلى أُخَرٍ شاحبات ، صبَب
تحدَّر مختنقاً فوقها ... بلا نَبْأَةٍ قَطْرُهُ المنسكب
فيا من لهـا زهرة الجو رحين ... مَنِ الزائرُ الحائرُ المقترب ؟ !
جَناحٌ لآخر ما في الفراشا ... ت من رحمة بقِيَتْ أوحدب
مضى الصيف وانقطعت إثْرَه ... أغاريدُ كنَّ مثارَ الطرب
نأى طيرُها مُجْهَدًا واختفى ... غرامٌ أتى وغرام ذهب !

« هي »

إليها ...

للأستاذ على محمود طه

[... وقرأ قصيدتها فراعه ذلك الروح الشاعر الثائر المضطرب فى محيط من العذاب والألم ... وأدرك سر هذه الخواطر الحزينة الباكية ... وأحس أنه المتهم ، وهو البرىء الذى لم يكفر بهذا الحب ، ولم يخل قلبه من ألمه ... فمد إليها ذراعيه يخاطبها بهذه القصيدة] :

لا تتركى زورقنا المُجهَدَا يجرى به اليأسُ ويمضى العذابْ
لا تُسلمى مجدافه للردى
فالشاطئ الموعودُ وشْكَ اقتراب
سيّان أرغى الموجُ أم أزبدا لن نحنىَ الرأسَ أمام الصعاب
هذى يدى ! مُدّى إليها يدا نقتحم النوء ونطوِ العباب !

نادَى بروحى منكِ روحٌ شرودْ لبّيكِ يا رُبّانتى الهاتفه
شرائع الناس بهذا الوجودْ أعجزُ من أنْ تقهرَ العاطفه
وددتُ لو حطّمتُ هذه القيودْ وجئتُ ألقاكِ على العاصفه
يُضىء وجهينا بريقُ الرعودْ فننثنى بالنظرة الخاطفة !

وحدكِ أنتِ الآن ؟ إنّا هنا روحانِ شبّا فى ظلال الكفاحْ
شراعُنا الخفّاق لن يَشكُوَا لليأس مهما مزّقتْهُ الرياح
ونجمُنا ما زال طلْقَ السّنَى يُطالع الأفقَ ويأتَى البطاح
إذا الغواشى السُّودُ مرّتْ بنا ألقَى لنا الضوء ومَدَّ الجناح

حُبّكِ رُبّانُ الهدى والسلامْ ما لان للأخطار أو أذعنا
لا تنزِعِى من قبضتيهِ الزمام ولا يَرُعْ قلبكِ هذا الضنى
كم ثار نوء وتدجّى ظلام وهذه أنتِ وهذا أنا
إنّا بلونا الهولَ باسم الغرام جنباً لجنبٍ ، ورجونا المنى !

ثِقى بملّاحكِ فى المأزقِ إنّى أنا ابن الموج والعاصفاتْ
ألشعَرَاتُ البيضُ فى مفرق تُنبيكِ عن أيامىَ الخاليات
آثارُ عمر مُرعِدٍ مُبْرق تعصف فيه أروعُ الحادثات
ما كدّرتْ من روحىَ المشرقِ تلك الليالى القُلَّبُ المظلمات

حبيبتى من أىِّ قلبٍ حزينْ وأىِّ روحٍ عبقرىِّ الألمْ
وأىِّ وادِ الأسى أو معين فجّرتِ لحناً من أرقِّ النغم ؟
وَصَفْتِ فيه زهرة « الجُورجين »
حارسةَ الميْتِ بوادى العَدَم
وخِلْتِها كالكأس ذات الرنين برّاقةً فيها الردى يبتسم ؟ !

بكيتِ بالدمع السخين الذريفْ على غرام خِلْتِهِ قد مضى
وأبصرت عيناكِ ظلّ الخريف يُجللُ الأرضَ ويغشَى الفضا
تخضبُ كفّاه النضيرَ الوريفَ
وَرْساً ، وتُذْوِى الزنبقَ الأبيضا
وتُخرس الطير بليلٍ شفيف يروعُ فيه القلبَ أن ينبضا !

هذا الخريفُ الجَهْمُ تمشى خُطاهْ على الربيع الذّابلِ المحتضَرْ
كآبةٌ تحجبُ أُفقَ الحياهْ سحابةٌ تخنقُ ضوء القمرْ
أُختاهُ ! هذا الحبُّ غضٌّ صِباهْ أىُّ عذابٍ صاغ هذى الصورْ ؟
لم يَبْرحِ الشاطئ ، إنّى أراهْ كعهدِهِ فى الموعد المنتظر !

كان حديثُ القَدَرِ المبهَمِ مثارَ هذا الخاطر المفزِعِ
برغم قلبى : صحتُ لا تُقدِمى ! وكان ما كان فلم تسمعى
أشفقتُ أن تَشْقَىْ وأن تألمى معى ، فناشدتُكِ أنْ ترجعى
لكنْ أبى الحبُّ فلم نأثمِ وكان أن أبقَىْ وتَبْقَىْ معى !

أكانَ حُلماً أم قضاء دعا ؟ ماذا يُفيد العاشقين الحذرْ ؟
شئنا فلم نقدرْ وعدنا معاً يا أختَ روحى ذاك حكم القدرْ !
لم ندّخِرْ جهداً ولا أدمعاً ولا دماً ، ما نحن إلّا بشرْ !!
ما أمجد الحبّ وما أروعا إذا تحدى العاشقان الخطرْ !

الحبُّ ما زالَ ، وهذا سناهُ يُلهبُ حتى الشعلةَ الخامده
تذوى الأزاهير وتذوى الشفاه وهو ربيعُ الأنفس الواجِده
قلوبنا منه تُصيبُ الحياه وتستمدُّ منه النَّضرةَ الخالده
إذا أضعناه فوارحمتاه لنا ، ويؤسَى لليد الجاحده !

« هو »

البريد الأدبي

فكاهات الشعراء

[احتاج الشاعر الأستاذ محمد الأسمر إلى زوج من (كاوتش الأحذية) فأرسله إليه صديقه الشاعر محمد عبد الغني حسن مشفوعاً بهذه الأبيات] :

إنني مُرْسِلٌ إليك « الكوتشا »
وَيدي مِنْ نَدَاك ترعش رَعشا
ليتني أستطيعُ إهداء نفسٍ   لم تجدْ في صفاء نفسك خدشا
ما لحرب البَسوس عادت ضَروساً
تبطش اليومَ بالمهالك بطشا
عجباً أصبح « الكوتشُ » نفيساً
بينما المرء لا يُساوي قرشا !!

لا تَضرِكَ الكُعوب إن هي عزت
أنتَ أعلى « كعباً » وأرفعُ عرشا
يا مُذيب القلوب رقةَ شِعْر
أوَلم تخشَ أن تُذيب «الكوتشا» ؟!
خفةٌ فيك لم تُتَح « لبهاء »
وأفانينُ لم تكن « للأعشى »
أنت تمشي على الأديم خفيفاً   لم تُصعِّر خداً ولم تَعلُ رمشا!!
فلماذا « الكوتش » تطفر فيه   طائراً في السماء تطلبُ عشا ؟
يا خفيف الظلال بين أناسٍ
يَطأُون الثرى صخوراً (ودبشا)
ما عهدنا عليك في الود زَيْفاً   ما عرفنا عليكَ في الحب غشا
فلماذا تزيفُ كَعْبَ حِذاء
إنّ كَعْبَ القَنا يُهابُ ويُخشى

فلما قرأها الأستاذ الأسمر رد عليها بهذه الأبيات :

هشّ قلبي لَمّا بعثتَ وبشّا
بقوافي القريض ، بَلْهَ الكوتشا [(١)]
ما طلبناهُ للحذاء ، وحاشا   بل طلبناه في الأضاحيّ كبشا
فهو خيرٌ من بعض لحم أراهُ   يتمشّى بمن به يتمشّى
ربّ لحم إذا الكوتش رآهُ   قال ماذا أرى وخاف وكشّا
المُجول الملَقّات صخورٌ   علقوها مثل المجاجيل غشّا
كل من كان مثل (دبشة) أمسى
يَزنُ اليوم للجماهير (دبشا) [(٢)]
هذه الحربُ غيّرت كل شيء   لم يعد عيشنا كما كان عيشا
فالرغيف اللُّبابُ أصبح طيناً   والحرير الدِّمقس أصبح خيشا
ما لهذا الغلاء يزحف كالسَّيْـ   ـل ويغشى كالليل ساعة يغشى
ليس يُنجيك من بوائقه السو
د اعتصامٌ أو أن تكون الخَفّشا [(٣)]
نحن غرقى فيه ، وحسبُكَ منه   أن يصير الجنيهُ عشرين قرشا

يا صديقي يا بلبلَ النيل أرسلْـ   ـتَ بقلبي إليك فاقبله عُشّا
أيها الشاعر المربّي صُغْرِ الشعـ   ـر، وصُنّع فتية البلاد قريشا
أنت نعم الشادي ، ونعم المربي   إن عوى جاهلٌ غروراً وطيشا

محمد الأسمر

الجامعات الأربع في وادي النيل

نشرت جريدة الأهرام كلمة للأستاذ منصور جاب الله اقترح فيها ضم كلية غوردون بالخرطوم إلى جامعة فؤاد الأول ، أخذاً من خطاب ألقاه سعادة حاكم السودان العام حيث قال إن الكلية ستنتهي إلى إحدى الجامعات الخارجية في الوقت الحاضر .

ونحن نرجو أن يتم هذا الأمر في الوقت الذي تنشأ فيه جامعة أسيوط ، فتضم ربوع وادي النيل جامعات أربعاً : جامعة فؤاد الأول في القاهرة ، وجامعة فاروق الأول في الاسكندرية ، وجامعة محمد علي في أسيوط ، وجامعة غوردون في الخرطوم .

ومصر إن طالبت بإزالة القواعد القائمة الآن بينها وبين السودان ليصبحا قطراً واحداً وبلداً واحداً ، فليس أقل من أن

---

(١) بله اسم فعل أمر بمعنى دع
(٢) دبشة اسم لأحد الجزارين المعروفين بالقاهرة ، والدبش : الحجارة.
(٣) الخفش الجريء على مغامرات الليل

تدعو إلى ضم كلية غوردون إلى جامعتها الكبرى كخطوة نرجو أن تكون موفقة إن شاء الله .

وإنا لموقنــون بأن مصر لن تدخر وسعاً للسعي في إظهار ما تكنه للسودان من ود وعطف عن هذا الطريق الثقافي ولاسيما وقد فتحت « مدرسة فاروق الأول الثانوية المصرية » بالخرطوم أبوابها لأبناء السودان الكرام كي تساعدهم على ارتشاف أفاويق الثقافة من مناهلها الطبيعية . عبد العزيز جادو

تصويب

وقع خطأ مطبعي في مقالي المنشور بالعدد ٥٩٧ من الرسالة عن « هوستن ستيوارت شمبرلين » ، إذ أضيفت إلى المقال فقرة طويلة من مقال آخر لي عن نيتشه عنوانه « سبيل مطروق » . ولا ريب أن القرّاء قد فطنوا إلى أن هـذه الفقرة تبدأ بالعبارة الآتية وهي : « بعضها يتفق مع ما ذهب إليه نيتشه .. الخ » إذ لم يرد اسم نيتشه في المقال كله (وهو ينتهي قبل هذه الفقرة) .

وبهذه المناسبة أحبّ أن أقول لذلك الأديب الذي بعث إليّ برسالة يسألني فيها عن سبب انقطاعي عن الكتابة في الرسالة عن نيتشه : إنني لم أنقطع عن عرض فلسفة نيتشه (فإن لي كتاباً بأكمله عن نيتشه وفلسفته) ولكنني لم أجد متسعاً من الوقت لموافاة الرسالة ببعض فصول من هذا الكتاب أعيد كتابتها من جديد ، فلذلك تراني أوثر أن أكتب في موضوع آخر ، من أن أعيد النظر فيما سبق لي تدوينه . زكريا إبراهيم

مدرس بمدرسة السويس الثانوية

ذكرى شوقي وتمثاله

احتفلت وزارة المعارف بذكرى المغفور له «أحمد شوقي بك» في دار الأوبرا الملكية مساء الجمعة الماضي، فألقى كلمة الافتتاح معالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف ، وأنشد الأستاذ خليل مطران بك قصيدة عصماء ، ثم تفضل صاحب الجلالة الملك المعظم بإزاحة الستار عن تمثال نصفي لأمير الشعراء نصب في مدخل دار الأوبرا الملكية

والتمثال من البرنز بالحجم الطبيعي . وهو من صنع الأستاذ إبراهيم جابر. وأول من فكر في إقامة هذا التمثال لأول من وضع الأساس للشعر التمثيلي في المسرح المصري هو الدكتور هيكل باشا سنة ١٩٣٨ ، وهو الذي دعا اليوم إلى هذا الاحتفال ، لإزاحة الستار عن هذا التمثال .

وبعد ذلك مثلت الفرقة المصرية فصلاً من رواية مصرع « كليوباترة » ، وفصلاً من رواية « مجنون ليلى » ، ثم فصلاً من رواية « هدى » ؛ وكلها من تأليف صاحب الذكرى العظيم

إلى الدكتور زكي مبارك

سلام الله عليك ، وبعد فقد قرأت كلمتك الأخيرة المنشورة على صفحات الرسالة تحت عنوان « زكي مبارك وكتاب الله » فلم يقع نظري — مع الأسف — إلا على تجريحك للأستاذ محمد أحمد الغمراوي واتهامه المجرد بأنه يعجز عن فهم كتبك ولا يستطيع هو ولا أشياخه نقدها ، وإلا على تعجبك من « ثنائه على نفسه بنشر ما قال أحد مخاطبيه مدحاً في قدحه على كتاب النثر الفني » . وكنت أنتظر أن أقرأ بدلا من ذلك — أو مع ذلك إذا لم يكن منه بد — تفنيداً علميا للنقد الذي وجهه إليك حتى أستبين ويستبين القراء وجهة نظر الطرف الثاني في الموضوع .

ولما كنت تمنى بمدح أحد مخاطبيه ، كلمتي[1] التي عقبت بها على مقاله الرابع عن « فساد الطريقة في كتاب النثر الفني »[2] فإنني أبادر — إنصافا له وبيانا للحقيقة — إلى تنبيهك إلى ما في نسبتك إليه الثناء على نفسه من تجن عليه ، فالواقع أنني لم أبعث إليه رأساً بكلمتي حتى يصح أن ينسب إليه أنه نشرها ، وإنما وجهتها إليه على صفحات « الرسالة » وهي التي تفضلت بالنشر على عادتها فيما يرد إليها من كلمات « البريد الأدبي » . وأتعجب بدوري : كيف يغيب ذلك عنك وأنت الذي توجه وتوجّه إليك الرسائل على صفحات الرسالة منذ سنين ! كذلك أقرر — في الوقت نفسه — أنني إنما عنيت بالمدح فيما وجهته إلى الأستاذ الغمراوي ، آراءه العلمية التي اشتمل عليها نقده والتي تناولت بعضها بالتفنيد ، فلا شأن لي بما عدا ذلك ؛ ولو أنك ضمّنت كلمتك الأخيرة شيئاً من هذا، لكانت أيضاً جديرة مني ومن سواي بالإطراء

وبمناسبة تعرضك لنقد الأستاذ الغمراوي بعد طول سكوت ، ألا ترى أن النقاش بيني وبينه قد وصل - بعد جوابيه الأول[3] والثاني[4] على نقدي - إلى مرحلة تقتضيك بعدها الأمانة العلمية وواجبك نحو القراء أن تتولى إكماله معه باعتبارك الأصيل ، عسى أن يساعد ذلك على جلاء وجه الحق في هذا الموضوع ، وبخاصة فيما يتعلق برأي الباقلاني في السجع ؟

ابراهيم زكي الدين بسيوني

(١) العدد ٥٨٥ من الرسالة
(٢) العدد ٥٨٣ (٣) العدد ٥٩٦ (٤) العدد ٥٩٧

كتاب بساتين الفاكهة – انشاؤها وتعهدها

كان من ثمار النهضة المصرية الحديثة فى شتى نواحى الإنتاج الزراعى أن توسع القائمون على سياستها ورعايتها فى إنشاء البساتين حتى بلغت مساحتها فى الأقاليم المختلفة سبعين ألف فدان . وليس هذا التوسع العظيم فى هذا الزمن القصير قائماً على الكم وحده ؛ وإنما يقوم كذلك على الكيف باجتلاب الأنواع وأقلمتها وتجربتها، وانتقاء البذور وإكثارها وترقيتها على الطرق العلمية الصحيحة . والفضل فى ذلك يرجع إلى جهود الأكفاء من الأساتذة الإخصائيين فى كلية الزراعة وقسم البساتين . وفى مقدمة هؤلاء الأفاضل الدكتور محمد بهجت أستاذ فلاحة البساتين فى هذه الكلية ، وأحد العاملين المخلصين فى ذلك القسم ، ومؤلف هذا الكتاب القيم الذى نقدمه إلى قرائنا اليوم

اجتمع للأستاذ بهجت من دراسته العالية بمصر ، ومن دراسته العليا فى كاليفورنيا ، ومن اطلاعه الواسع على الكتب والنشرات الحديثة ، ومن مشاهداته الكثيرة بمحطات التجارب الزراعية وحدائق الزراع الأهلية ، ومن تجاربه الخاصة فى قسم البساتين ؛ اجتمع له من كل ذلك ما جعله جديراً بتأليف كتابه (بساتين الفاكهة) على نمط لم يتهيأ لأحد من قبله . فقد امتاز هذا الكتاب بمزايا كثيرة نذكر منها : أنه أحاط بكل ما وصل إليه العلم الزراعى فى موضوعه إلى يوم الفراغ منه ؛ وأنه طبق النظريات العلمية على تربة مصر ومناخها فلم يأخذ بأقوال العلماء وتجاربهم أخذ الناقل أو المقلد ؛ وأنه غلب فيه الجهة العملية على الجهة النظرية بناء على مشاهداته واختباراته ؛ وأنه توخى فى كتابته التبسيط والتسهيل ليكون دانى القطوف من الطالب المختص والزارع العادى فيستفيد منه كل قارئ . والكتاب معقود على سبعة أبواب تضمنت أمهات المسائل فى هذا العلم ، كالمشاتل ، وإكثار الفاكهة ، والأصول ، وإنشاء البساتين ، والتسميد ، والرى ، والتقليم . وقد صدره المؤلف بمقدمة تاريخية بليغة ألمت بأطوار فلاحة البساتين فى القديم والحديث . فله من ربه خير الجزاء ، ومن قرائه أجزل الشكر

مجلة (الثريا) التونسية

بهذا العنوان أصدر جماعة من صفوة الأدباء فى تونس مجلة شهرية جامعة تعالج الأدب والتاريخ وتعنى على الأخص بتراجم النابغين من قدامى المغرب ، وتشجيع الناشئين من محدثيه .

وهذه كلمة مقتطفة من افتتاحية عددها السابع عن الأدب المغربى:

« يوجد أدب مغربى رائع الصورة ، فائق الأسلوب ، واضح المعالم ، بين الصفة والذات ، يستمد وحيه من طبيعة الأرض ومناخها ، ويتغذى إلهامه من عوائد أهلها ورجالها ، وهذا الأدب المغربى فى حاجة إلى من ينصره ، وفى افتقار إلى من يدعو إليه ويظهره .

واحات الجنوب التونسى والجزائرى والمغربى ونخيلها ، ومياه أودية الشمال الإفريقى وجبال الأطلس وشواطىء المغرب الواقعة على البحر المتوسط تطبع الأدب المغربى بطابع قوى كما طبعت الفن « المألوف » بطابع ممتاز ، وتاريخ الموحدين والمرابطين وتاريخ العرب الذين زحفوا المغرب يحملون الدين والنور والبلاغة والشعر ، وتاريخ العبيديين والعائلات المالكة التى انتشر صيتها واتسع نفوذها ، لبنة صالحة لإقامة الهيكل القوى الذى نريد تشييده لتوضيح سبل تفكيرنا ، وخصائص ثقافتنا .

والأدباء الذين ألفوا الكتب فى العروض ونقد الشعر ، وفى الفقه وأحكام التشريع ، والشعراء الذين تغنوا بجمال المغرب والأندلس ، حريون بأن يكونوا أساتذة لنا نسير على ضوئهم .

والعلماء المغاربة الذين ألفوا فى الفلاحة والطب والبيطرة والهندسة ووسعوا آفاق المعرفة فى هذه الربوع ، وشع نبراسهم فى جنوبى إيطاليا وفى جزائر البحر المتوسط يطالبوننا بتخليد ذكرهم، والاشادة بأمرهم، حتى يكونوا قدوة لشبابنا الطموح... »

الرصافى وأبو حنيفة

جاء فى مقال (حول وحدة الوجود) للأستاذ الرصافى المنشور بالعدد السابق ما نصه :

« حتى أن الامام أبا حنيفة أجاز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة » مع أن أبا حنيفة الفارسى يقول :

« لو قرأ بغير العربية فأما أن يكون مجنوناً فيداوى ، أو زنديقاً فيقتل » ، كما ورد فى ص ١٣٦ من شرح الفقه الأكبر لأبى حنيفة ، للعلامة ملا على القارى ، نقلا عن شارح عقيدة الطحاوى عن الشيخ حافظ الدين النسفى فى المنار . فهل عند الأستاذ الرصافى نص يؤيد ما قال ؟

راشد سليمان

عرايس يوم الثلاثاء

ضاق نطاق هذا العدد عن نشر حولية الدكتور زكى مبارك فأرجأناها إلى العدد المقبل